الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

فكر

مصادر ماركس

(٢-٢)

في مقال شهير لفلاديمير لينين بعنوان (مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة) يعدّ مذهب ماركس "الوريث الشرعي لخير ما أبدعته الإنسانية في القرن التاسع عشر: الفلسفة الألمانية، الاقتصاد السياسي الإنكليزي، والاشتراكية الفرنسية"، حيث تمثّل هذه المصادر الثلاثة الماركسية الأقسام الثلاثة المكوّنة للفكر الماركسي، وهي:

سعد محمد رحيم

١.إن المادية هي فلسفة الماركسية، إذ لم يكتف ماركس بمادية القرن التاسع عشر وإنما أغنى فلسفتها بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، ولاسيما بمكتسبات مذهب هيغل، الذي قاد بدوره إلى مادية فويرباخ. وأهم هذه المكتسبات؛ الديالكتيك.

٢.أعار ماركس اهتمامه لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث (الرأسمالي) معطياً لنظريات آدم سمث وديفيد ريكاردو (نظرية قيمة ـ العمل) أساساً علمياً خالصاً، وهنا شكلت نظرية فائض القيمة حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية.

٣.درس ماركس بإمعان أدبيات الاشتراكيين الطوباويين الفرنسيين، وانتقد طرقهم في قراءة وتحليل واقع الاستغلال في المجتمع الرأسمالي، فاكتشف قوانين حركة التاريخ، ودور الصراع الطبقي، وتحوّل المجتمعات، حيث الاشتراكية في رأيه، لن تتحقق بمخاطبة ضمائر الرأسماليين وإنما بالنضال الطبقي السياسي القاسي والعنيف، فالنظرية الاشتراكية الطوباوية "كانت تنتقد المجتمع الرأسمالي، تشجبه، تلعنه، وتحلم بإزالته، وتتخيل نظاما أفضل؛ وتسعى إلى إقناع الأغنياء بأن الاستثمار مناف للأخلاق، ولكن الاشتراكية الطوباوية لم تكن بقادرة على الإشارة إلى مخرج حقيقي، ولم تكن لتعرف كيف تفسّر طبيعة العبودية المأجورة في ظل النظام الرأسمالي، ولا كيف تكتشف قوانين تطور الرأسمالية، ولا كيف تجد القوة الجماعية القادرة على انتصار خالقة المجتمع الجديد". نعود إلى فردريك أنجلس الذي جعلته مهنته صناعياً في بريطانيا يصب جل اهتمامه على دراسة علم الاقتصاد السياسي الإنكليزي، وكانت مساهمته في مجلة (ياربشر) حول نقد الاقتصاد الوطني، وعلى الرغم من نواقص دراسته وبعض التشوش الذي شابها فإن إرجاعه تناقضات الاقتصاد البرجوازي إلى الملكية الخاصة كان اكتشافاً فكرياً لافتاً، وإشارته إلى التداعيات غير الإنسانية للمنافسة الرأسمالية، وملاحظاته حول الأزمات التجارية وقانون الأجور وتقدم العلوم، الخ، "احتوت على بذور الشيوعية العلمية في الحقل الاقتصادي، ولقد كان أنغلز بالفعل هو الرائد في هذا المجال" كما يقول فرانز مهرنغ، ومن ثم، حين نشر أنجلس مقالته التالية عن الظروف التعيسة التي كانت تعانيها الطبقة العاملة الإنكليزية، ليعود ويكتب مخطوطة كتابه (حالة الطبقة العاملة إنكلترا ١٨٤٤) والتي نشرت في ليبزيغ في ١٨٤٥ لفتت انتباه ماركس بقوة، والذي كان بحاجة إلى مثل تلك المعلومات، فضلاً عن طريقة تناولها من قبل أنجلس لينكب على دراساته التي راحت توقف ديالكتيك هيغل على قدميه، وتكرس أسس المادية التاريخية. تنبه ماركس إلى ما في دراسات أنجلس من التماعات عبقرية، وكان أنجلس بحاجة إلى عقل تحليلي تركيبي كعقلية ماركس ليحل المسائل الأكثر صعوبة في حقل الاقتصاد السياسي.

أنجز ماركس وأنجلس أول كتاب مشترك لهما هو (العائلة المقدسة)، وفيه يعترفان بفضل فيورباخ في وضع أسس نقد الميتافيزيقيا كلها وإحلاله الكائن الإنساني في مركز الوجود، وانتقداه لتجريده، كما تناولا نقدياً أفكار فورييه وبرودون وغيرهما، وأعلنا أن كتابهما السجالي هذا ليس إلا مقدمة لنشر أعمال مستقلة، والكتاب بمجمله كان رداً ساخراً على انتقادات برونو باور لهما، حيث كتب أنجلس ست عشرة صفحة فيما وسّع ماركس العمل إلى ثلاثمائة صفحة، وقد رأيا في فلسفة باور كاريكاتيراً للفلسفة الألمانية، وبالأخص الفلسفة التأملية الهيغلية، ومثل الكتاب، كما يرى (يندريش زلني) مواجهة أخرى للفكر الماركسي مع هيغل بالتشديد "على ضرورة القطيعة مع المبدأ المثالي المتعالي حول تطابق الذات والموضوع، الفكر والوجود، سواء أعتبر هذا المبدأ، بصورة موضوعية أم ذاتية، بالأسلوب الهيغلي أم الفيختي (نسبة إلى فيختة)".

وأصدر الصديقان كتابهما المشترك الثاني (الإيديولوجية الألمانية) في ثمانمائة صفحة، وكان سجالياً أيضاً، وفيه انتقدا ممثلي الفلسفة الألمانية (فيورباخ وبرونو باور وشتيرنر)، كما انتقدا الاشتراكية الألمانية ورموزها مثل موسى هس وكارل غرون وأوتو لوينغ وهرمان بوتمان وغيرهم، ومن جهة ثانية واصل ماركس نقده فلسفة هيغل على وفق ما تناولها أولئك المفكرون آنفو الذكر. كان كارل ماركس مهتماً، إلى حد بعيد، بنتاجات معاصريه الفكرية، وكان برودون أحد أهم هؤلاء وذلك لتأثيره الكبير على البروليتاريا الأوروبية، وحين نشر كتابه (نظام التناقضات الاقتصادية: فلسفة البؤس) رد عليه ماركس بكتاب (بؤس الفلسفة) وفي هذا الكتاب، ربما، أرسى ماركس دعائم (الفكرة الأساسية للمادية التاريخية) ومؤداها "إن الإنتاج الاقتصادي في كل فترة تاريخية والبنية الاجتماعية التي تنمو عنه بالضرورة هما ما يشكل التاريخ السياسي والفكري لتلك الفترة.. والتاريخ كله إنما كان تاريخ صراعات طبقية.. والبروليتاريا لا تستطيع تحرير نفسها من الطبقة المستغلة المضطهدة البرجوازية، إلا بتحرير المجتمع كله، في الوقت ذاته، من الاستغلال والاضطهاد".

ويصف لاسال الكتاب الذي يتكون من قسمين بالشكل التالي: "إن ماركس يبدو في أولهما ريكاردو وقد تحول إلى اشتراكي. ويبدو في ثانيهما هيغل وقد تحول إلى شيوعي"، فماركس ينتقد برودون ومن خلاله هيغل، ويميز بوضوح "نقطة انطلاق مناهج التفسير العلمي الجديدة، المادية الديالكتيكية، لأصل المقولات الاقتصادية وتاريخها الدنيوي، وهو نفس المنهج الذي يقود التحليل الماركسي ونقد الاقتصاد السياسي البرجوازي (فيما بعد) في رأس المال".

خاض ماركس نضالاً سياسياً دؤوباً، ولاسيما مع صديقه أنجلس، وكانا يتابعان معاً، ويشتركان، بهذا القدر أو ذاك، في الثورات البروليتارية التي تندلع، هنا وهناك، في أنحاء أوروبا حتى كتبا معا (البيان الشيوعي/ ١٨٤٧)، والبيان الذي قدّم للمؤتمر الأممي الثاني كان ذا طابع كلاسيكي، وصبغة تعليمية صارمة، وتضمن مبادئ الحركة البروليتارية وشعاراتها ووعودها، وما يزال يعد وثيقة مهمة من وثائق القوى الاشتراكية في العالم حتى وقتنا الحاضر، على الرغم من أن المؤلفين في عام ١٨٧٢ قالا أن البيان قد عفا عليه الزمن، لكن مبادئه أثبتت صحتها بشكل عام.

وعاش ماركس حياة تشرد وإبعاد من مكان إلى آخر، وسُحبت منه الجنسية الألمانية، وبقي مواطناً عالمياً، لمدة، بلا وطن، وبلا جنسية، وكانت الممارسة السياسية، وتجارب الحياة الصاخبة تغنيان وعيه، وتمنحانه وضوح رؤية، وطاقة فكرية عارمة.

كان على ماركس وأنجلس أن يزنا قيمة المفكرين البرجوازيين بميزان الثورة ليجدوهم، بطبيعة الحال، ناقصين، وبهذا جرى تقويم الفيلسوف الألماني (دومر) والمؤرخ الفرنسي (غيزوت) الذي مارس، هو الآخر بعض التأثير على ماركس، والمفكر الإنكليزي (كارلايل) الذي أثر على أنجلس، لكن الصديقين صنفا تخريجات هؤلاء في ضمن خانة الانحطاط الفكري لقادة البرجوازيين الكبار.

أصبحت لندن منذ عام ١٨٤٩ منفى ماركس الثالث، وهناك عاش في فقر مدقع مع عائلته، ولم يحاول الحصول على وظيفة أخرى، تعينه في محنته، كي يبقى متفرغاً للكتابة والنضال السياسي. وأخيراً لما وقع، تحت وطأة الفاقة والبؤس والجوع الحقيقي، رغب بالحصول على وظيفة في مؤسسة السكك الحديد، فشل، بسبب سوء الحظ وحده، مثلما سيخبر أنجلس في واحدة من رسائله الكثيرة إليه، وسيكتب؛ "لقد وصلت بي الحال حداً لم أستطع معه أن أغادر البيت لأن ثيابي جميعها مرتهنة، ولم استطع أن آكل اللحم لأن نقودي قد نفدت جميعاً"، ولولا المساعدات التي كان يتلقاها من أنجلس لما قدر على الاستمرار في الكتابة.

وعلى الرغم من كل شيء كان يقضي معظم وقت يقظته في مكتبة المتحف البريطاني (من التاسعة صباحاً، وحتى السابعة مساءً) يدرس الفلسفة والتاريخ والعلوم الطبيعية والآداب والاقتصاد السياسي، ولاسيما الاقتصاد السياسي.. يقرأ ويكتب.. وذات مرة، وهو طريح الفراش، كتب إلى أنجلس يقول؛ "على الرغم من أنني لم أكن أستطيع العمل، فقد قرأت كتاباً في علم وظائف الأعضاء لكاربنتر، وكتاباً في تشريح المخ والجهاز العصبي لشلايدن"، وكان مشروعه الجديد هو كتاب (مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي) الذي سيعطيه شكله النهائي في (٥٧-١٨٥٨)، وكتب في هذا الوقت مقالة مطولة ستنشر في كتاب لاحقاً عن انقلاب لويس بونابرت في فرنسا، وكان ذاك هو الحدث الأهم في القارة الأوروبية في حينه، وفحوى الكتاب هو رد على كتابين صدرا بهذا الخصوص هما كتاب فيكتور هيجو (نابليون الصغير) وكتاب برودون (الانقلاب).

حلل ماركس، وبطريقة ساخرة في كتابه الذي أسماه (١٨ برومير لوي بونابرت) "كيف أن الصراع الطبقي في فرنسا خلق ظروفا وشروطاً مكنت رجلاً عادياً من لعب دور البطل"، ويعلق فرانز مهرنغ على مصائر الكتب الثلاثة المذكورة "بينما أصبح هذان الكتابان (نابليون الصغير، والانقلاب) منسيين منذ أمد بعيد لا يزال كتاب ماركس يشع، حتى يومنا هذا، بعبقرية لامعة خالدة". إن سخرية ماركس وقدرته على الهجاء جعلت ناقداً كبيراً مثل أدموند ويلسون يعدّه "واحداً من أعظم سادة الهجاء، ماركس هو بالتأكيد (يقول ويلسون) أكبر ساخر منذ سويفت، ويشترك معه بقدر كبير في ذلك".

وكان ماركس مغرماً بتتبع التفاصيل، ورصد دقائق الأشياء، بصبر وتأنٍ عجيبين، ولذا كان يقضي شهوراً وسنوات طويلة في كتابة دراساته المطولة في الاقتصاد السياسي، حتى أنجز ذلك السفر العلمي الخالد (رأس المال)، وكان يصحح مخطوطاته المرة تلو الأخرى، ويتردد في إرسالها للناشرين لأنه يحس أن ثمة نواقص فيها، وهذا ما كان يغيظ صديقه أنجلس الذي كان يستعجله في إنهاء أعماله بسرعة أكبر، ويحثه على نشرها.. يقول أنجلس عن واحدة من تلك الحالات:

"بالنسبة لرجل كان يدرس كل شيء ليكتشف منشأه التاريخي وشروط تطوره، كانت كل مسألة تؤدي بالطبع إلى مسائل جديدة، وعلى الأخص درس ماركس التاريخ القديم وعلم الزراعة الروسية وعلاقات ملكية الأرض في أمريكا والجيولوجيا، الخ، وذلك لكي يجعل القسم المتعلق بإجازة الأرض من الجزء الثالث (رأس المال) أكمل وأشمل من أي معالجة سابقة للموضوع، لقد كان ماركس يقرأ كل اللغات الجرمانية واللاتينية الحديثة بسهولة، ثم تعلم بعد ذلك السلافية القديمة والروسية والصربية".

هجر ماركس كتابة الشعر مبكراً، ولم يعاود كتابة مسرحيات شعرية أو روايات، كما فعل في مرحلة الشباب، غير أنه استمر في قراءة النصوص الأدبية القديمة والحديثة.. يقول لافارغ أن ماركس كان يقرأ (آخيل) في النص الإغريقي الصالي مرة واحدة في السنة على الأقل، ومن المحدثين الذين كان معجباً بهم غوته وهاينه وديدرو، وولعه بالأدب قاده إلى التعرف على الآداب الألمانية المكتوبة في القرون الوسطى، لكنه كان يكره الرومانسيين الفرنسيين، ومنهم شاتوبريان "لعمقه المزيف ومبالغاته البيزنطية وعاطفيته المفرطة التي لا تساوي شيئاً" كما يقول.

أعجب ماركس برائعة بلزاك (الكوميديا الإنسانية)، ونصح، في شباط ١٨٦٧ قبل تسليم مخطوطة المجلد الأول من رأس المال، أنجلس بقراءة التحفة الأدبية (حكاية فرينهوفر- غير المعروفة، كما سيصفها!) لبلزاك لأنها "مليئة بالسخرية الممتعة"، وكان يفكر بكتابة دراسة عن بلزاك بعد فراغه من كتابة (رأس المال) إلا أن الموت لم يمهله لتحقيق رغبته تلك (توفي في عام ١٨٨٣).

وخلال إقامته في لندن "مارس نوعا من العبادة لشكسبير"، وقرأ بايرون وشيللي وروايات القرن الثامن عشر الإنكليزية، منها أعمال فيلدنغ ووالتر سكوت.. يقول فرانز مهرنغ عن ماركس أنه كان "كداروين وبسمارك يلتهم الروايات التهاماً، وقد شغف منها بالأقاصيص المرحة وحكايا المغامرات، فانحدر في سعيه إليها من سرفانس وبلزاك وفيلدنغ إلى بول دي كوك واسكندر دوماس الأكبر".

ويشير اس. اس. براوير في كتاب نشره في عام ١٩٧٦ وكرّسه لمراجع ماركس الأدبية أن الجزء الأول من عمل ماركس الأعظم (رأس المال) احتوى على اقتباسات من "الكتاب المقدس، شكسبير، غوته، ميلتون، فولتير، هومر، بلزاك، دانتي، شيلر، سوفوكليس، أفلاطون، ثيوسديدايس، زينوفون، ديفو، سرفانتس، درايدن، هيني، فيرجيل، جوفينال، هوراس، توماس مور، صامويل بتلر- وإشارة إلى قصص الرعب، الروايات الرومانسية الإنكليزية، القصص الشعبية، الأغاني والأناشيد، الميلودراما والمسرحية الهزلية، الأساطير والأمثال".

وهكذا سيكون مألوفاً "أن يتكلم رأس المال بصوت شايلوك (بطل- تاجر البندقية- لشكسبير)... وللبرهنة على أن النقود تؤدي دوراً جذرياً كرافعة يورد ماركس مقتطفا من تيمون الأثيني (شكسبير): "النقود هي البغي المشتركة بين البشر" يليه مقتطف آخر من انتيغونا (سوفوكليس): "النقود! النقود هي لعنة الإنسان، ليس هناك لعنة أكبر.

النقود هي من يخرّب المدن، من ينفي الرجال من أوطانهم، إنها تغوي وتخدع الأرواح الفائقة الصفاء، تدفع الناس إلى طريق الخسة والعار..."، كما شبّه الاقتصاديين الذين يقدمون تحليلات تنطوي على مفارقات تاريخية بـ "دون كيشوت" الذي "أنزل به القصاص لأنه تخيل خطأً بأن ترحال الفرسان الهائمين على وجوههم يتناغم بشكل متساوٍ مع كل الأشكال الاقتصادية للمجتمع".

أراد ماركس أن يقرأ كل شيء، في فروع المعرفة البشرية وآدابها، وأن يكتب في حقول معرفية عديدة، ويعالج مسائل البشرية المستعصية جميعها، غير أن حدّه البيولوجي المقدّر، أي قصر سنوات العمر وحتمية الموت، قياساً لسعة مشروعه الفذ والكبير الذي يتطلب الإنجاز في غضون ثلاث حيوات أو أكثر، لم يدع له الفرص التي كان هو، وكما كانت البشرية، بحاجة ماسة إليها، كانت عبقريته أكبر من أن يتحمل أعباءها جسد واحد، وأن يفي بمتطلباتها عمر شخص واحدٍ، وكان الفقر والجوع والتشرد عاملاً معوقاً آخر (لعله كان محفزاً أيضاً) في سبيل تحقيق ما حلم به من أجلنا.

المصادر:

١.(كارل ماركس) تأليف فرانز مهرنغ.
٢.(منطق ماركس) يندريش زلني.. ترجمة: ثامر الصفار.
٣. مقال (مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكوِّنة الثلاثة) فلاديمير لينين.
٤. مقال لفرانسيس وين موزع بين ترجمتين.. الأولى (الحمل الطويل) ترجمة: سعدي عبد اللطيف في جريدة المدى يومي ٢٧-٢٨/٤/٢٠٠٨، والثانية (ماركس شاعر الديالكتيك) ترجمة: غريب اسكندر في مجلة (الثقافة الأجنبية) العدد الثاني ٢٠٠٩.

أميركا

صدمة جائزة نوبل وقوة أوباما الناعمة

علي حسن الفواز

لا أعرف ما هو وقع فوز الرئيس الأمريكي باراك أوباما بجائزة نوبل للسلام، وكيف تم استقباله لإعلان الخبر الذي ادخله قائمة الرؤساء المسالمين، بالضد من التاريخ الرئاسي الأمريكي الحافل بالرؤساء المحاربين؟ وهل يعني هذا الفوز انزياحا في توصيف الجائزة، أم تغايراً في طبيعة المواصفات الرئاسية التي اعتدنا ظاهرتها الصوتية الحادة، وخصالها المحاربة، وفهمها الامبريالي النقي للسلام والحرية والديمقراطية؟

ما احسبه في قراءة هذا الفوز هو محاولة في طرح اقتراح لتجاوز عقدة (قبول) أميركا في العالم بعد سلسلة طويلة من الحروب والأزمات والرئاسات الخشنة، خاصة ما بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ والتي تركت العالم تحت مخالب السلطة الأمريكية بشكل فاضح، فضلا عن الرغبة في تغيير زاوية النظر الى أميركا الدولة والإمبراطورية والقيمة، ومحاولة دولية لطي أزمات معقدة استغورت مفاهيم الحوار والدبلوماسية، وحولت العالم الى قرية صغيرة على وفق القياسات العولمية، لكنها بالمقابل قرية محكومة بالمراقبة والضغط والحروب الطارئة والجاهزة والعنف الإيديولوجي.

إزاء كل هذا ثمة من يتساءل أيضاً، هل كان الفوز المفاجئ للرئيس الأمريكي أوباما بجائزة نوبل للسلام مقبولا عند الكثير من الأوساط السياسية والثقافية، او مرفوضا عند بعضها من أصحاب المرجعيات التي تضررت من هيمنة النموذج التقليدي للرئاسة الأمريكية صاحب الذراع الطويلة في الحروب الصغيرة والكبيرة، والدعوة لقبول نمط السياسات الناعمة للرئيس الأمريكي الجديد أوباما، إذ ان المثير في موضوع الجائزة انها تمنح لرئيس جديد في دولة عظمى ولم تمض على خدمته الرئاسية أكثر من تسعة أشهر أكلت نصفها الأزمة الاقتصادية العالمية وتداعياتها على الاقتصاد الأمريكي، ناهيك عن أزمة الحرب في أفغانستان والعراق، وتداعيات الصراعات المجاورة حول الملف النووي الإيراني والملف الكوري الشمالي، وأزمة الشرق الأوسط، وعقدة الإرهاب وغيرها، اذ لم تختبر بعد أفاق مشاريعه السياسية الأخرى خاصة في المجالات الستراتيجية، ولم تكتشف أحلامه بعد، خاصة تلك التي تتعلق بإقامة العدل الدولي ونزع فتيل تلك الحروب والصراعات والملاحقات النووية بين الدول وكبح جماح إسرائيل الرافضة لكل شيء، بدءا من الحقوق التاريخية للفلسطينيين وحقهم في العودة وبإيقاف الاستيطان والنبش في القدس والحروب المفتوحة في المسجد الأقصى.

بيان اللجنة المسؤولة عن الجائزة التي فاز بها الرئيس الأمريكي والتي أعلنها القيمون عليها تقول أنها هناك العديد من الرؤساء والشخصيات الدولية قد ترشحت للفوز بهذه الجائزة ومنهم من يملكون أجندات (شرف) وامتيازات تؤهلهم للفوز على وفق القياس النرويجي، لكن هذه اللجنة (أولت أهمية خاصة لرؤياه (أي رؤية أوباما) وجهوده من اجل عالم خال من الأسلحة النووية).

وأضاف البيان: وبوصفه رئيساً، أوجد أوباما مناخا جديدا في السياسة الدولية، واستعادت الدبلوماسية المتعددة الطرف موقعاً مركزياً، مشددة على أهمية الدور الذي يمكن ان تتولاه الأمم المتحدة وباقي المؤسسات الدولية. وأعطيت الأفضلية للحوار والمفاوضات بصفتها وسيلة لحل النزاعات الدولية وضمنها الأشد صعوبة.

وزادت في تصريحها: نادراً ما شدّ شخص كما فعل أوباما، انتباه العالم ومنح البشرية الأمل بغد أفضل.

هذه الجائزة (الاوبامية) فيها من الصدمة أكثر من القبول، اذ ان تاريخ الرؤساء الأمريكان هو تاريخ محارب دائما، وان أكثرهم لا يتمتعون بالرومانسية الخالصة من اغلب شعوب الدنيا، خاصة تلك الشعوب الفقيرة او التي مازال اليسار القديم معششاً فيها، او مازالت قطارات الثورة الدائمة تعبر بالجوار منها، فضلا عن ادوار هؤلاء الرؤساء الارستقراطيين الحادّي الطباع في صناعة النموذج الغرائبي لـ(الرئيس) والتعمد في صناعة مضخمة للازمات الكونية بدءا من الأزمات المخابراتية التي تثيرها عادة وكالة سي، آي، أي، مروراً بالأزمات المالية وانتهاء بانقلابات (التبغ والكاكاو والموز والقطارات والرقيق الأبيض) والاحتلالات السريعة بقوة المارينز والتي تحدث هنا او هناك وبقرارات رئاسية خالصة..

هذا التوصيف والمرجعيات هو ما يجعل التفكير بمنح رئيس أمريكي جائزة للسلام وهو على رأس السلطة أمرا فيه الكثير من الفنطازيا والغرابة والإثارة، مثلما فيه من الجاذبية والتساؤل..فما الذي أثاره الرئيس باراك أوباما حقا بالنسبة لأجندة (لجنة جائزة نوبل) ليكون صاحب الحظوة في الحصول على امتياز هذه الجائزة؟ وهل مجيئه وهو (الأسود) الى البيت (الأبيض) السبب الصادم لتجاوز عقدة الجائزة التي لا تخلو من عنصرية، أم في الطريقة الدراماتيكية في خطبه الرنانة التي هيجت جيلا جديدا من الثوار للاحتجاج على مهيمنات اللون والطبقة والجيب، ام انه إعادة إنتاج ظواهر فيها الكثير من الرومانسية الثورية مثل رومانسيات مارتن لوثر كينج وباتريس لو مابا وفرانز فانون، وايميه سيزار، أم ان إعلانه عن الالتزام العلني بالتعاون الدولي والسعي الى تحقيق السلام في الشرق الأوسط ومكافحة الانتشار النووي كاف كشعارات براقة لتحريض شيوخ اوسلو على منحه الجائزة؟ وهل حميميته المعلنة في الالتزام بالمسار التغيري الذي يطبع رئاسته واعتماده الدبلوماسية والحوار في التعاطي مع تحديات دولية وإقليمية بينها الملف النووي الإيراني وفي التواصل مع العالم الإسلامي دليل على جديته في ان يصنع من أميركا دولة شعبية لا تحارب ولا تطاردا أحدا؟

اعتقد ان هناك الكثير من هذه الأسئلة المثيرة جدا إزاء تاريخ الرئاسات الأمريكية، تلك التي تتعلق بهويتها وطبيعتها ونمطية القوة التي ارتهنت اليها دائما في التعاطي مع الملفات الدولية، ومع قضايا الثورات الاجتماعية والثقافية، وبالمقابل فإن بعض هذه الأسئلة فيه الكثير من التحريض على طبيعة هذا التاريخ الذي لم ينزع خوذته المحاربة، ولم يتخل عن صفة الرجل المخابراتي الدائم، وان ينزع لان يكون مواطنا كونيا، تستقبله الجماهير دون احتجاج او هتافات مضادة، وان يكون للرئيس الأمريكي الدور الأخلاقي في قلع أضراس الديكتاتوريات والطغاة ولكن بشكل أكثر تهذيبا دون إثارة المزيد من الأوجاع والأزمات والحروب الثانوية الأشد مضاضة..

أوباما قد يبدو رئيسا خارقا للعادة الأمريكية، ونافرا عن تاريخ ألوانها وأنماطها وعاداتها وحتى نظامها الطبقي، وهذا التغاير هو الصائغ الاستثنائي للصدمة الرئاسية أولاً، والصدمة الأخلاقية ثانيا، فضلا عن الصدمة اللونية ثالثا، واحسب ان التصريحات التي استقبلت فوز اوباما بجائزة نوبل للسلام تعكس طبائع هذه التغايرات والكيفيات المختلفة في التعاطي معها، فضلا عن انها تؤكد في عمقها عن الرغبة في ان تنزع أمريكا ثياب الجنرالات وترتدي ثياب الشعراء، وان نقرأ عن والت ويتمان والن غيسنبرغ، اكثر ما نقرأ عن هنري كيسنجر وعن الجنرال كولن باول، وان نقرأ عن وتني هويسن اكثر ما نقرأ عن كونليزا رايس.

هذه الرغبة العميقة في ان تكون أميركا دولة للسلام وليست للحرب، كشفت عن نوايا الكثير من زعماء العالم، والكثير من سياسييه، مثلما كشفت عن رغائب الكثير من الناس ممن خضعوا للمهيمنات والحروب الأمريكية باستثناء مؤسسة طالبان المحاربة خارج المعنى وخارج السياق والتي ضرّت الإسلام أكثر مما رفعت له شعارات النقاء والصفاء، وقد يقول البعض منهم كفى للحروب التي لا تنتهي، والمجاعات والأزمات والصراعات التي تأكل من جرف الفقراء، وحان الوقت لان يعيش العالم بسلام، وأمان، وان تكون الحريات مصانة، والتعليم متاحا للجميع، والسفر مباحاً دونما هوامش قاتلة عند المطارات والحدود.

ان حساب إعادة أمريكا الى ثقافة السلام، وتجاوز ما كرسته من نمطية تقليدية للمواجهة، أظنه من الأكثر الحسابات التي تحتاج مسؤولية ووعياً استثنائيين، لان أمريكا ليست الصومال وليست جزر البهاما، وانما هي صاحبة المطبخ الكوني المسؤول عن عسر هضم الكثيرين، وان تحولها ولو المحدود من سياسة القوة الخشنة الى سياسة القوة الناعمة يعدّ من الأمور التي تحتاج الى وقفات لانه يعني تفكيكا للايدولوجيا القديمة، ولنمط مفهوم الرئاسة القائمة على التبشير بهذه الايدولوجيا، وهذا ما يجعل النظر الى تغيير العناوين من الحرب الى السلام، وإعادة إنتاج المسؤوليات وتوزيع الأدوار والوظائف من الأمور التي تحتاج الى قراءة مغايرة بعيدا عن الانفعالات الجاهزة والكراهيات الجاهزة، والمواقف التي لا تصنع سوى الهزائم والأزمات.. لذا أجد ان جائزة السلام لأوباما هي صدمة لإنتاج سلسلة من (السلامات) التي نطمح لان تكون حقيقية، لان السلام الحقيقي سيكشف الكثير من الطغاة والظلاميين الذي يمارسون حروبهم السود وسط العتمة دائما، ووسط نزعة الحروب والخرابات التي تسكن نفوسهم قبل ان تسكن الأرض والثقافة..

آراء وأفكار

Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:

١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .

٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:

٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net